... مُرونَـةُ الشَّريعةِ الإسلاميّـة...

وفي السنة العاشرة من الهجرة، حجّ الرسول ﷺ ومن معه من المسلمين حَجَّة الوداع ـ حجّة الإسلام ـ ، وكانت بعض اللّقطات الرائعة:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ مُوافين لهلال ذي الحجة، فقال رسول الله ﷺ: «من أحبّ أن يُهلّ بعمرةٍ فليُهلّ، ومن أحبّ أن يُهلّ بحجةٍ فليُهلّ، ولولا أني أَهديتُ لأهللتُ بعمرة».

فمنهم من أهلّ بعمرة، ومنهم من أَهَلَّ بحجّةٍ، وكنتُ ممن أهلّ بعمرة[1].

وهذا من يُسر الإسلام وسماحته، وهذا هو المنهج النبوي، وكما روت عائشة رضي الله عنها وذلك عندما سُئلت عن رسول الله ﷺ ومنهجه، قالت: «ما خُيّر رسول الله بين أمرين إلاّ اختار أيسرهما ، ما لم يكن إثماً».

ولَيْتَ المتصدّرين للدعوة رفعوا لواء التيسير والتبشير ، اقتداء بالرسول ﷺ.

وفي الطريق كان النبيّ ﷺ يُلبّي ، وكذلك كان الصحابة يُلبّون ، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن تلبية رسول الله ﷺ: «لبّيك اللهم لبّيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك ، والملك لا شريك لك»[2].

وكان بعض الصحابة يزيدون علىٰ تلبية الرسول ﷺ ببعض الكلمات، ويسمع رسول الله ﷺ ذلك فلا يُنكر عليهم! ولا يقول لهم: هذه بدعٌ ما أنزل الله بها من سلطان!

---

(١) صحيح البخاري: ٣/ ٥.

(٢) صحيح البخاري: ٢/ ١٧٠.

مثال ذلك زيادة ابن عمر: لبّيك لبّيك ، وسعديك ، والخير في يديك ، لبيك والرّغباء إليك والعمل[1].

ومنها زيادة جابر بن عبد الله رضي الله عنه: لبّيك إلٰه الحق[2].

وأمرهم الرسول ﷺ برفع أصواتهم بالتلبية ، فعن السائب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «جاءني جبريل فقال لي: يا محمد ، مُرْ أصحابك أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية»[3].

أجل يا أبا الزهراء يا أحمد!

وهكذا علّمت كيف تكون مرونة وصلاحية الشريعة الإسلامية لكل وقت وكل مكان، فمن أراد أن يحج.. أو يعتمر.. أو يقرن بينهما، فلا بأس، ومن أراد أن ينضبط بضوابط الأدب مع رسول الله ﷺ، بحيث يتّبعه حرفياً فلا بأس، ومن أراد الزيادة أو النقصان في التلبية، فلا بأس.

لـم أستطـع حصـراً لمـا أُعطيتَـه ... فـذكـرتُ بعضـاً واعتـذاري منشـدُ
مـاذا أقـولُ إذا وصفـتُ محمـداً ... نَفَـدَ الكـلام ووصفـه لا ينفـدُ

* * *

(١) صحيح مسلم: ٢/ ٨٤٣.
(٢) سنن النسائي: ٥/ ١٦١.
(٣) سنن النسائي: ٥/ ١٦٢.